

نبضات وطرقات

أمنية يحيى

قصة

قصص
بنات أفكاري

Qassim

نِبْضَاتٍ وَطَرَقَاتٍ

أمنية يحيى

«رحيق البلفسج»

تصميم:-

غلاف خارجي: إيمان القاسم

داخلي وتنسيق: رحاب جمال

تدقيق لغوي: أمنية يحيى

عمل فريق جروب حكايات بنات أفكاري

<https://www.facebook.com/groups/Banat>

[Afkare/?ref=share_group_link](https://www.facebook.com/groups/Banat/Afkare/?ref=share_group_link)

لا أدري لمَ ساقطني قدماي إلى هذا الطريق لي أيام وشهور
لم أبرح منزلي حتى شعرت بأن الأرض ضاقت علي بما
رحبت، لي ساعة أسير بلا هدى لا أصدق أنني صرت بتلك
العشوائية حتى في تفكيري وأخيراً وجدت مكاناً ألتقط فيه
أنفاسي وأحاول استجماع أفكاري، جلست على منضدة
بعيدة عن الجميع أحاول التفكير في خيوط حياتي من
جديد، علي معرفة أخطائي السابقة لأنجح فيما هو قادم
استرعى انتباهي ضجة وأصوات متفاوتة ما بين رجال
ونساء نظرت إليهم بتعجب ما هذه الهيئة التي هم عليها
فجأة كأن أحدهم قد غرس خنجراً في قلبي وأخرجه من
الجهة الأخرى وترك فراغاً في قلبي وروحي تعبت به الرياح
والعواصف من كل جانب سقط فنجان القهوة من يدي
من هول الصدمة فأحدث جلبة لفتت الأنظار إلي وحدها
فقط من التقطت ما حدث لي فور رؤيتها على تلك الحال
هالني منظرها الأشعث وحالتها المتبدلة أليست تلك
معلمتي الأستاذة وداد أحمد! لم ألتقِ بها منذ شهور طويلة

ولم أكن أتخيل أن أراها على هذه الحالة كيف نزعت
خمارها وحجابها وباتت تخرج هكذا بمثل هذا التبرج!
أغمضت عيني عدة مرات وفتحتهما وأنا لا أزال لا أصدق
ما أرى فقد تركت شعرها للعنان وكأنما أطلقت صراح
الفضيلة التي طالما علّمتنا إياها كيف ومتى ضرب الشيب
رأسها متى تبدلت هيئتها المحتشمة إلى تلك الهيئة الغريبة
شعراتها البيضاء تختلط ببعض الخصل الحمراء كان
شعرها متموجًا كما يطلقون عليه الآن "كيرلي" وجهها
ملطخ بمساحيق التجميل بشكل جريء غريب تأملتها
جيدًا ولم تقل صدمتي حين اصطدمت عيناها بملابسها
الغريبة عليها معلّمتي وداد ربة الأخلاق والشيم النبيلة
ترتدي سترة جلدية تكاد تلتصق بجسدها ولم تكن تلك
الطامة الكبرى فقط بل رأيتها تتبادل النكات والكلمات
الغريبة مع من يحيطون بها وهم على نفس هيئتها من
رجال ونساء، الشيء الوحيد الذي أكد لي أنها هي هو
عينيها العسلية التقت عيناها بعينيها فكأنما شعرت

بالخجل فأسبلت جفنها لم ألتفت إلى كل من يحيط بنا
وجدتني أنهض من مكاني وأتوجه إليها رمقني من يحيطون
بها شذراً فلم أعيرهم انتباهاً أمسكت بكفيها وأنا أسألها
وبداخلي بصيص أمل ألا تكون هي وأنني لأبد مخطئة
لكنها أجابتني بصدق وثبات:

- أنا وداد.

ثم ما لبثت أن نهضت بعد أن استأذنتهم وجلست معي
على منضدتي وهناك أطلقت تنهيدة حارة وكأنما زفرت فيها
همومها لم أستطع الكلام ظلت كلماتي أسيرة حلقي من
أين أبدأ؟

التقطت هي حيرتي ببديعتها المعهودة فقالت:

- كيف حالك عهد؟

أومات برأسي وأنا أردد باعتياد:

- الحمد لله.

ثم رفعت رأسي إليها وأنا أسألها بتوتر:

- و أنتِ كيف حالك؟

أطلقت تهيدة أخرى وهي تقول:

- أما أنا فقد فقدت ابني وخسرت مالي الذي ورثته عن أبي وما ادخرته طوال سنوات عملي وطلقني زوجي بعد أن اكتشفت خيانتة لي مع أقرب صديقاتي تعرفينها جيدًا جارتي الأرملة التي طالما أشفقت عليها وطلبت منه مساعدتها ها هي قد اتحدت مع زوجي أقنعتني بكل الطرق أن أعطي زوجي كل ما أملك كي ينهض بمشروعه الخاص لكنني لم أكن أعلم أن زواجه منها هو مشروعه الخاص فقد أخذت منه الغالي والنفيس.

وضعت كفي على كفها وأنا أردد بمواساة:

- احمدي الله فالمؤمن مصاب.

لكنني شعرت بالصدمة التي كادت تسقطني أرضًا وجعلت الظنون تجتاح رأسي حينما قالت في هدوء:

- الله!! و أين هو الله؟! لا تسأليني أن أحمد من لا أوّمن

بوجوده من الأساس، فكرة الإله الأوحد والمعبود فكرة
سخيفة ابتدعها أناس جاهلون.

كادت عيناى تخرجان من رأسي حين قالت تلك الكلمات
فسحبت يدي من فوق أكفها وأرمقها بنظرات مستاءة
أعلم جيداً أنها آلتها فأغمضت عينيها واستطردت قائلة:
- لقد خسرت كل شيء على الرغم من التزامي بالصلاة
وغيرها تقرباً لهذا الإله المزعوم، صلاة وعبادة وصوم
وزكاة ثم ماذا؟_ تابعت بسخرية_ وبالأخير فقدت كل شيء
فكيف أعبد من أتقرب إليه ونهاية المطاف يطلقني زوجي
ويتزوج جارتى وأخسر مالي و أفقد ابني الوحيد.

أسقط في يدي ولم أحرها جواباً هل سقطت معلمتي في
هوة الإلحاد حقاً؟! لم أصدق أذني حين باغتتني بتلك
الكلمات، رمقتها بحيرة وعتاب لم يخلُ من فيض حبي لها
فالتقطت عيناها تلكم النظرة أسبلت جفنيها زفرت بألم
علمت أنها لازالت في صراع لو كانت اتجهت إلى ذلك
الإلحاد بكامل اقتناعها لكانت جادلتني بقوة حديثها

المعهودة، أسكت الضجيج المشتعل بداخلي ثم وجهت
حديثي إليها بحزم:

- معلمتي، كيف حدث ذلك؟ أخبريني أرجوكِ فرأسي
تتخطفها كل الأفكار والهواجس الآن.

رمقتني بوجل وقد لامست كلمة معلمتي وترًا حساسًا لديها
ربتت على كفي بهدوء وهي تطلق تنهيدة حارة زفرتها ببطء
وهي تقول:

- سأخبرك عهد، كان ذلك منذ عامين تأثرت آنذاك بحادثة
ابني الوحيد نور تعلمين أنني أفنيت زهرة شبابي أعمل بلا
كلل وأخضع لعملية تلو الأخرى راجية أن أمسك وليدي
بين كفي وبالفعل كان كما تمنيته نورًا يشرق وينير أيامي
تحملت من أجله حماقة زوجي كنت أعمل بجد لأعوانه في
الإنفاق على وحيدنا نور ومن عجائب تلك الحياة أنها
منحتني المال أخيرًا وقبل أن ألتقط أنفاسي و أفرح بتلك
العطية سلبتني أعزما أملك في تلك الحياة.

وهنا تركت لدموعها العنان:

- حبيبي وقرّة عيني وكل ما أملك سقط صريعاً فقدته في
حادث سير.

ثم ما لبثت أن تحولت نبرة صوتها إلى نبرة أشد غلظة وهي
تردد وتقول:

- ما ذنبي وذنوب ولدي الصغير أن يسقط ضحية شاب
طائش أخبريني ما هو ذنبه حتى وإن كان ذلك عقاباً لي من
إلهمك المزعوم ما ذنب صغيري؟ ما ذنبه؟ وما ذنب كل
أولئك الأطفال الذين يُذبحون ليل نهار إن كان الإسلام
دينكم هو الحل فلم يترككم إلهمك لكباب الأرض يفتكون
بكم بلا حماية؟ أين هو النصر؟ أين هي راية الإسلام
خاصتكم؟

رمقتها بهدوء وأنا أجيبها قائلة:

- سأجيبك عن كل ما سألتني لكن الآن أكمل لي قصتك
فأنا لم أفهم بعد سبب تغيرك.

شعرتُ بتوترها حين تناولت كوب الماء بأنامل مرتعشة
أكملت بعدها قائلة:

- هل تظنين أن مأساتي قد انتهت عند هذا الحد؟

أطلقت ضحكة ساخرة وهي تقول:

- لقد ازداد وضعي سوءًا، عُدت إلى بيت أبوي أجرأذيال
الخيبة والندم خسرت زوجي خسرت ابني الوحيد خسرت
مالي، استقبلني أخي على مضض صرت أعمل صباحًا في
المدرسة وأعود لأنخرط في مذاكرة أبنائه ومساعدة زوجته
في أعباء المنزل، ضاق صدري ولم ينطلق لساني ازدادت
كآبة وضيق خاصة كل عيد وأنا أراه يحضر الهدايا
لزوجه ويتجاهل وجودي يذهب مع زوجته إلى التنزه ولا
يدعوني للحضور لمحا لي بأن وجودي صار عبئًا ثقيلًا
عليهما رغم أنني كنت أنفق راتبي كله معهم في المنزل.
ابتسمت بمرارة وقد أسندت رأسها المثقل بالهموم إلى
كفيها ثم أكملت بألم:

- أصبت بسلسلة من الأمراض التي تكالبت على قلبي كما
المتعب نهشت الآلام جسدي أصبت بورم خبيث صرت
كالمومياء أذهب وحدي إلى جلسات العلاج الكيماوي
أتجرع من الأوجاع كؤوسًا زادت وحدتي وتخلّى عني
الجميع فقد صرت كالشبح سقط شعر رأسي الغزير
وتساقط حاجبائي صرت أرتعب من المرأة اعتزلت الجميع
ورغم ذلك لم يرفق بي قلب أخي وآخر من تبقى لي على قيد
الحياة كان يتهمني دومًا بأني أدعي المرض لأتسول الاهتمام
وهل كان الأطباء يكذبون؟ هل كل تلك الفحوصات
الطبية مزورة؟

سكنت هنيهة لتلتقط أنفاسها وقد تركت لجام دموعها
فصارت تتدفق بلا توقف.

أغمضت عيني بألم وأنا أستشعر وحدتها وضعفها أكاد
أجزم أنها قد اشتهمت رائحة احتراق قلبي من أجلها،
انقطعت حبال أفكاري حين استرسلت قائلة:

- وفي خضم ألمي وقبل أن أتعافى قرر أخي تزويجي رفضت
 رفضًا قاطعًا فلم أكن أقوى حينها على تحمل أية مسؤولية
 وقلبي الكليم لم تلتئم جراحه بعد، استعان بكبار العائلة
 واستطاع إقناعهم بما يريد وقد رمقني الجميع بنظرات
 ساخرة أجمعوا أمرهم على تزويجي تظاهرت أمامهم
 بالقبول وعند الفجر انطلقت إلى حيث لا أدري جمعت
 أشياء وما تبقى لدي من حُلي استأجرت حجرة ضيقة لم
 أكن لأقطن فيها في أسوأ كوابيسي لكنني تحملت أكملت
 علاجي واستعدت روعي المثابرة من جديد تركت التدريس
 وطرقت عدة أبواب للعمل لم أنكر مدى سعادتي بثناء
 الكثيرين على عملي وعلى جمالي صرت أتأنق أمام مرآتي
 صار خماري الطويل عائقا يخفي ملابسني الأنيقة المنتقاة
 بعناية قصرت حجابي رويدًا رويدًا حتى صار ما يطلقون
 عليه الآن (تربون).

شعرتُ بنظرات عيني وقد شابهها الندم لكنها أكملت بتبرير:

- لقد خضتُ حربًا أنتِ لا تعلمين عنها شيئًا.

ثم هدأت نبرة صوتها قليلاً وتهدج صوتها بالبكاء:

- زوجي السابق من كنت أسعى دومًا لنيل رضاه و أفعل في نفسي الأفاعيل ليرمقني بنظرة رضا ضنّ عليّ بكلمة مدح أو نبرة حب كان كثيرًا ما يصفني بالقبح والدمامة لم يكن يلحظ جمالي بل لم يكن يشعر بوجودي من الأساس.

زفرتُ بألم ثم استعادت قوتها وهي تكمل بسعادة:

- صرتُ أفعل ما أريد أذهب إلى أي مكان بلا قيود أختلط بالصدقات والأصدقاء صرت أكثر حيوية و إقبالاً على الحياة لا أنكروقتها أنني صرت أتأفف من تلكم الزميلات اللاتي تدّعين التدين والالتزام بدينكم وهن يوجهن إلي الكثير من الوعظ والنصائح.

ارتسمت ابتسامة ساخرة في زاوية فمها وهي تقول:

- أين كان هؤلاء وأنا في أشد لحظات ضعفي وانكساري لماذا لم يستجب لي ربكم وأنا أدعوه و أتذلل إليه كل يوم أن يشفيني من المرض لم يستجب لي وأنا حزينة لكشف

شعري أو أجزاء ضرورية من جسدي للعلاج لم يرحم
ضعفي وأنا على مشارف الموت فلماذا أوّمن بوجوده
نزعت عندها ذلك التريون وتركت صلاتكم نهائياً، تعرفت
إلى نادر طبيبي النفسي هو وحده من تفهم وحدتي هو
وحده من آمن بتميزي وبجمالي وبرجاجة عقلي لم يضيق
علي مثل أبي وأخي وزوجي السابق لم ينتزع مني مالي ولا
حريتي تقبلني بكل عيوبي قبل مميزاتي عشتُ معه أجمل
أيام حياتي أعاد لقلبي شبابه من جديد صرت أجري أمامه
على الشاطئ ويجري خلفي قذفته بماء البحر وقذفني لم
يأمرني بخفض صوتي لم يشعرني بأن هناك في جسدي ما
أخجل منه وأخفيه بما تسمونه حجاب تنسمت نسמת
الحرية أخيراً، نادر حقاً نادر أغدق علي بكل كلمات الحب
والغرام عشت أروع اللحظات.

انتهيتُ إلى الضيق الذي احتل ملامح وجهي لكنها أكملت
بجدية:

- أعلم أنك شَعُرْتِ بالملل حين تحدثت عن ما حصلت عليه من امتيازات.

ثم أردفت بسخرية:

- عجيب أمركم أيها المسلمون ترتمون في أحضان الحزن والكآبة وتهربون من السعادة كهروبكم من السباع.

ثم أكملت بجدية:

- عرفت سر سعادة نادر وإقباله على الحياة إنها الحرية نعم حرية العقيدة والتفكير أرشدني نادر إلى حرية الدين أخبرني أنه علي التحرر من ذلك الدين ومن ذلك الرب يكفي أنه قد سلبنى الكثير من حقوقي ومن سعادتتي ومن أحبابي.

ثم تنهدت بحب:

- ما أجمل الحرية صرت أفعل ما أريد وقتما أشاء ولا أكثر بحلال أم حرام.

ثم أكملت بتودد:

- ما رأيك عهد هل تريدان الانضمام إلينا؟ صدقيني
هناك حياة أخرى جميلة خلف ذلك الدين وهذا الحجاب،
انزعي عنك كل تلك القيود و..

قاطعتها بتهذيب جاهدت نفسي لأتحدث به فهي الآن
مغيبة العقل والتفكير ثم تحدثت بحياد:

- دعك مني الآن وخبريني كيف حال قلبك؟ كيف هو
شعورك عندما تخترق أذنيك كلمات الأذان؟ هل يمر
عليك رمضان مرور الكرام بلا تأثر؟ هل نسيت لحظات
الخشوع والدعوات الصادقة المختلطة بدموعنا؟ كيف
تتناولين طعامك هل تستطيعين بلعه وتمريه دون
تسمية؟ هل ألفت نظرات بعض الذكور وهم يلتهمون
تفاصيلك بعيونهم؟

ثم ألتفت القول وأنا أنظر في عينيها بصدق وأنا أقول:

- هل تشعرين بنيران قلبك الآن وحيروته؟ سعادتك المبالغ
فيها بالحرية أنبأتني بشقاء قلبك.

لم أستطع النوم تلكم الليلة نهش الألم صدري اعتصرت
الأحزان قلبي انتحبتُ على سجاتي أدعوربي أن يفتح قلب
معلمتي وداد للتوبة والعودة من جديد.

ذرفتُ من الدمع الكثير وأنا أستغفرربي، لأول مرة
أستشعر ضعفي وقلة حيلتي لا أصدق أنني منذ ليالٍ
معدودة كنت قد بدأت أغرق في يَمّ اليأس والجزع وبينما
أنا أدعوبقلب آيس من الشفاء كان قدرالله قد قُدّر من
لدى حكيم خبير أن ألتقي بمعلمتي وداد وتسرد لي مأساتها
لأعود إلى بيتي أذرف الدمع شكرًا وعرفانًا لربي الخبير
العليم، لا أصدق أنني جزعت لتعرضي لمرض في قلبي
ووقوع العديد من المشكلات بيني وبين زوجي، الآن فقط
علمتُ لمِ قال أجدادنا فيما مضى «من رأى مصائب
الناس هانت عليه مصائبه»، أكملت وردي من الاستغفار
طويت سجاتي ونهضت هاجمتني تلك الآلام مجددًا
استندت إلى الجدران حتى وصلت إلى فراشي الدافئ
تناولت دوائي بسرعة حمدت الله كثيرًا أن منّ عليّ بذكره

وأن منحني الداء والدواء وألهمني ذكره، أسندت رأسي إلى الخلف وأنا أسترجع ما مررت به في يومي العجيب هذا من حزنٍ وغضبٍ مروراً بالسير بلا هدف نهايةً بلقائي بمعلمي وداد توقفت عند تلك النقطة وقد شعرت بغصةٍ في حلقي حين تذكرت ما دار بيننا فمعلمي لم تكتفِ بما أقدمت عليه من إلحادٍ بل وتدعونني إليه أيضاً! أغمضت عيني بتركيز وتتابعت الكلمات على قلبي تترا.

قبضت يدي بغضبٍ مكتومٍ وأنا أجاهد نفسي لأتحلى بكل ما أوتيت من حكمةٍ ورفقٍ فهي الآن مسكينة لا تشعر بما هي عليه من خطرٍ استشعرت استعدادها للدفاع وتوجسها خيفةً من ردةٍ فعلي فأغمضت عينيّ بهدوءٍ أستنشق الهواء ببطءٍ شديدٍ وأزفره بنفس الهدوءٍ لاحظتُ ارتسام الدهشة على مُحيائها فأجبتها قائلة:

- عجيب أمر ذلك الهواء كم هو مهم وحيوي.

صدقت على كلماتي بقولها:

- أجل فبدونه لا تستقيم الحياة.

باغتتها ابتسامة ارتسمت على شفتي وأنا أقول:

- وكيف صدّقت بوجوده وأمنت بأهميته وهو غير مرئي؟

قالت باندفاع غير مدروس:

- لكننا نرى أثره في حياتنا.

قلت بتأكيد:

- وهكذا نحن نؤمن بخالقنا المعبود سبحانه ليس كمثله

شيء رب الكون ومدبر شئونه فأثر عظمته ظاهر للعيان في

هذا الكون البديع سبحانه.

عقدت حاجبها وقد احتل ملامحها الضجر فقلت بهدوء:

- هذه واحدة.

تناولت قدح قهوتي وأنا أتذمر من برودته وأتهم هذا المكان

بقلة الجودة وانعدام الإتيان وإهمال الزبائن فقد طلبتُ

ماءً مثلجًا ولم يأتِ إلى الآن وهممت بتصعيد الأمر في ظل

دهشتها الكبيرة ظناً منها رغبتني في تغيير الموضوع الذي
نحن بصددده فزفرت بضيق وهي تقول:

- عهد كفاك تدمراً فليس معنى أنك تركت قِدْحَكَ يبرد أن
ذلك خطأ القائمين على المكان وليس معنى أن هذا النادل
قد تجاهل طلبك للمياه أن كل العاملين هنا مهملون.
ارتشفت رشفة أخرى من قهوتي باستمتاع وأنا أجيها
قائلة:

- هذه الثانية.

ارتسمت الصدمة على وجهها وقد صفعتها كلمتي
فابتسمتُ قائلة:

- ها أنتِ قد اعترفتِ قائلةً أن سوء تطبيق أصحاب هذا
المكان للنظام ليس عيباً في النظام نفسه وإنما سوء
تصرف العاملين فيه كذلك هو ارتكاب بعض المسلمين
الكثير من الأخطاء يدل على نقصٍ لديهم وسوء اتباعهم لما
جاء به الإسلام.

عقدت حاجبها فقلتُ لها:

- إن زوجك قد أخطأ في حقك كذلك جارتك لكنك

أخطأت من قبلهم حين زينتها في عينيه وفعلتِ معها المثل

مع إنك تعلمين جيداً النهي النبوي عن ذلك.

طأطأت رأسها أرضاً فأكملتُ قائلة:

- كذلك أخطأ أخوكِ وزوجته في حقك.

فانتبهت إلي بكل حواسها فأعدتُ كلماتي ثانية:

- أجل كلهم أخطأوا في حقك فقد منحك الإسلام حق

اختيار شريك حياتك ولم يأمر بإجبارك على الزواج.

ارتخت ملامحها قليلاً مما شجعني لأكمل ما بدأتُ به

فقلتُ مداعبةً أتذكرين حين أضعتُ دفتر دروسي

سامحتني مرتين وعند تكرار الثالثة عاقبتني بالوقوف

طوال الحصتين لم تلتفتي لأمي البادي على صفحة وجهي

ابتسمتُ بخجل وهي تقول:

- لقد تكرر الخطأ فكان لابد من العقوبة حتى إذا ما عُدت
للنسيان ذكرك ألم قدميك أيتها المشاكسة.

بادلتها الابتسام وأنا أردد قائلة:

- هذه الثالثة.

انتفضت بغضب وهي تقول:

- أنتِ تمزحين!

أجبتها بهدوء:

- أخبرتنا فيما سبق معلّمتي أن الابتلاء سنة كونية يصيب
الله به عباده لتهديبهم من الذنوب والمعاصي وأنه قد
يكون الهدف منه رفع الدرجات وتنقية العبد من آثار
الآثام وأن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.
ثم استطرّدت وأنا أنظر في عينيها:

- فلماذا ضجرت حين ابتلاك الله بفقد وحيدك لماذا
استقبلت هذا الاختبار بمثل هذا الجزع والسخط؟

تحرك بؤبؤ عينيها في اضطراب فأردت طرق الحديد وهو
ساخن فأردفتُ:

- أنسيتِ أنكِ علّمتنا أن من رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط!

أطرقت برأسها أرضاً وهي تضغط عليها بكفيها ثم ما لبثت
أن استحضرت شيطان إلحادها فباغتني بقولها:

- عُدّي كما شئتِ فليس هناك من سبب يدعوني لأعود
لأنتسب إلى دين ضعيف خذله خالقه فإن كان الإسلام
هو الحق فخيريني لم يُقتل المسلمون في كل زمان ومكان؟
إن كنتم الأفضل فلم تركم خالقكم للهلاك على أيدي
المغول والصليبيين؟

ثم أكملت بسخرية لاذعة:

- انظري حولك يا عهد وأجيبيني لم يُقتل المسلمون في
سوريا ولم يذبحون في الهند وبورما والشيشان وغيرهم؟
لم صار الدم المسلم سهلاً مباحاً؟

أطرقتُ برأسي أرضاً أمحودمعةً قاومت لتشهد على
حديثنا هذا بينما انتهتُ أنا إلى تهديج صوتها وتسارع
أنفاسها، رفعت رأسي إليها وأنا أقول:

- أتعلمين؟

التفتت إلي فأكملتُ:

- إن أحد الطغاة قديماً قد سأل نفس السؤال لأحد
العلماء فأجابه قائلاً: «أرئيت إن كان لأحدهم قطع وقد
تفرق وابتعد فكيف يصنع؟ قال الرجل: يُطلق عليهم
كلابه ليعودوا إليه فابتسم العالم وقال: فنحن القطيع
الذي ضلّ عن هدي مولاه عزوجل ولله المثل الأعلى ليس
كمثله شيء وأنتم كلاب الله في الأرض متى تركنا ديننا
سلطكم علينا ومتى عدنا نصرنا الله عليكم».

ارتخت ملامحها قليلاً فأردفتُ قائلة:

- أطلقني لخيالك العنان معلمتي ماذا إن لم يصطفي الله
عزوجل كل أولئك الشهداء فلِمَن ستكون غداً جنات

عدن والفردوس الأعلى وكل ذلك النعيم؟ ومن سيسقط
 في بئر الكفر والخيانة والنفاق وبمن ستمتلاً جهنم وبئس
 المصير؟ ومن سيبتلى بفقد ذويه ويتجرع من الحزن
 كؤوساً؟ ومن سيتلقن الدرس ويعود إلى ربه قبل فوات
 الأوان؟

انتهت إلي وقتها بكل حواسها لكنها فجأة التفتت إلى
 زوجها الحالي نادر وقد رمقها بحب وتقدير فالتفتت إلي
 بحدة وهي تشن هجوماً جديداً قائلة:

- لا تحاولي التأثير علي عهد فأنا لن أعود إلى دين يزدري
 المرأة ويهمش وجودها دين يرى جسدي عورة وصوتي
 عورة دين يعد علي أنفاسي لا أستطيع أن أصادق الرجال
 لا يمكنني مصافحتهم لا أستطيع ارتداء ما أريد تريدونني
 أن أصير خيمة سوداء متنقلة أعطي شعري وأطمس
 جمالي وأعتزل العالم وأجلس في قوقعتي أكملت بسخرية:
 - عفواً صغيرتي فلن أعود لذلك السجن كما في السابق
 فأنا لم أكد أتسم عبير الحرية أنتِ لا زلتِ تدافعين عن

تلك الشعارات لأنك لم تخوضي تلك التجربة الرهيبة ولم
تمارسي كافة حقوقك فلم يعد شيء يردعني ولم أقف
مكبلة الأيدي أرى الحرية ولا أمارسها.

وعند تلكم النقطة لم أدري ما هاجمت الآلام قلبي! هل لأن
معلمتي هي من كانت تحدثنا عن الحجاب وعن تكريم
الإسلام للمرأة وكيف جعل الله عز وجل سورة كبيرة باسم
النساء في القرآن وكيف سميت سورة عظيمة كسورة
مريم باسم امرأة وكيف ذكرت امرأة فرعون وغيرها من
النساء المكرمات في القرآن وكيف يكون الحجاب حماية
للمرأة وستراً لها من أعين الرجال وعن أن المرأة تستطيع
خوض غمار الحياة متى شاءت وأن العالم مليء بالعديد
من الشخصيات المسلمة الملتزمة بحجابها الشرعي
وتعاليم ديننا الحنيف وقد نالوا أعلى المناصب، رغم أنني
قد بدى الألم جلياً على محياي ارتعدت فرائصها حين
تفصّد جبيني بالعرق بادرتني بالكثير من الاعتذارات فهي
قد نست أنني مريضة قلب وهذا الحوار الشائك قد طال

وهذا يشكّل ضغطًا واضحًا على وضعي الصحي وكما في السابق تناولت مني حقيبتني فتّشت عن دوائي الذي أحمله دائمًا وساعدتني على تناوله حمدتُ الله عزوجل أنها لازالت تحمل لي في قلبها بعضًا من ود تناولتُ ورقة من دفترني وسجلت لها رقم هاتفني وكتبت إليها ردي على تلك النقطة الأخيرة باختصار فلم أكن لأترك ذلك النقاش معها وإن بذلتُ في ذلك روجي.

تنفستُ الصعداء فيها هو النوم قد داهم مقلتي ولم ألبث أن أستجيب لسلطان النوم حتى علا رنين هاتفني فأجبت بصوت ناعس وألقيت تحية الإسلام ليبادرني صوت معلمتي الهادي قائلة:

- تُرى هل لي من توبة؟

ثم اختنق صوتها بالبكاء وأكملت:

- هل سيقبلني خالقي من جديد؟

احتلت الفرحة ملامحي فأجبتها بما لقّنتني إياه في الماضي:

- تُرى من أدمن الطرق يوشك أن يُفتح له.

وختمتُ كلامي بقوله عزوجل:

- «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور

الرحيم».

تمت بحمد الله وفضله